منهج القرآن الكريم في توثيق أحداث
غزوة بدر الكبرى

د. أحمد محمد شعبان

أستاذ مساعد في كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة طيبة

التخصص: التفسير وعلوم القرآن

البريد الالكتروني: shaban70@yahoo.com

المدينة المنورة

١٤٣٦هـ

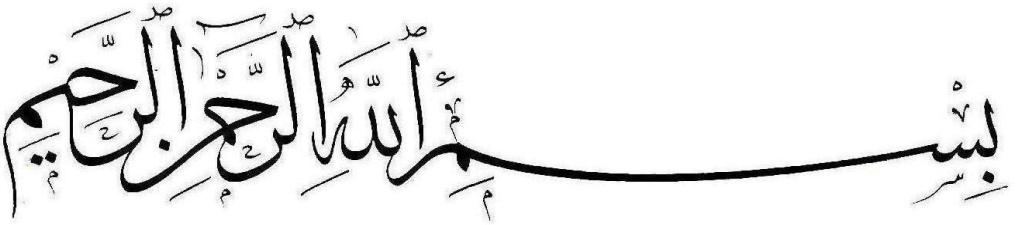
بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص البحث:

تناول هذا البحث: **المنهج الذي سلكه القرآن الكريم في توثيقه لأحداث السيرة النبوية** من خلال توثيقه لغزوة بدر الكبرى.

بين فيه الباحث أهمية التوثيق القرآني لأحداث السيرة النبوية، ومنزلة هذا التوثيق بالنسبة لغيره من كتب السير والتاريخ، ثم بين الآيات التي نزلت في الغزوة، وتحدث عن المحاور التي وثقتها هذه الآيات، والمحاور التي غضت الطرف عنها، وتوصل من خلال ذلك إلى المنهج القرآني في توثيقه للأحداث، ويتلخص المنهج في عدد من النقاط، أبرزها: إيراد الأحداث غير مرتبة زمنياً، و الجمع بين الأحداث المتباعدة في سياق واحد، والتعبير عن الحدث بلفظ مجمل ومختصر، والاهتمام بالحكم على الحدث وتقويمه، و تنوع الأساليب في عرض الأحداث، والكشف الدقيق للنفس البشرية، والإعجاز البياني في التعبير عن الحدث.

والله الموفق،،،

الكلمات المفتاحية:

منهج - توثيق – أحداث- غزوة بدر

Research Summary:

This research addresses the approach adopted by the Holy Qur'an in documenting the events of the great battle of Badr.
The researcher has explained the importance of Quranic documentation of the events of the Prophetic Biography and the verses that were revealed in respect of this battle. He also talked about the themes that were documented by these verses, and themes that ignored it. However, through this, he could arrive at the Qur'anic approach in the documentation of events, which can be summed up in a number of points, notably: stating events in non-chronological order, combination of disparate events in one context, expressing one event in concise and detailed words, paying attention to passing judgment and evaluating an event, diversity of approaches in the presentation of events, and precise exposure of the human soul.

Key words: approach,documentation,events, battle of Badr.

مقدمة عامة:

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فالسيرة النبوية هي السجل الحافل الذي يعبر بصدق عن كل الأحداث التي وقعت في حياة النبي ﷺ سواء على مستوى الفرد أو الأسرة أو الجماعة.

وقد تعددت الكتابات عن السيرة النبوية، وتنوعت مصادرها ومناهجها، فتخصص قوم بالكتابة فيها بدءاً بولادة المصطفى ﷺ وانتهاء بوفاته، بينما اكتفت كتب الأحاديث بسرد بعض فصولها أو أحداثها.

والمتتبع لهذه المصادر يجد أن الكتابات فيها تتفاوت في حجمها وتفصيلاتها تبعاً لأهميتها من منظور كل كاتب، والجوانب التي يرغب في إبرازها أو الحديث عنها.

وغزوة بدر إحدى أهم الأحداث في السيرة النبوية، فهي المعركة الكبرى الأولى التي عززت مكانة المسلمين في الجزيرة العربية، وفتحت الباب واسعاً أمام كل المترددين في الدخول في الإسلام أو موالاة المسلمين.

لذلك كانت كتابات العلماء حولها كبيرة، وتحليلاتهم واسعة، إلا أن كل هذه الكتابات تبقى خاضعة لمعيار الضبط والرواية من جهة، واجتهادات المحللين والمفسرين الذين يصيبون ويخطئون من جهة ثانية.

أما حديث القرآن الكريم عنها أو عن غيرها من الأحداث؛ فله طابع خاص، وميزات فريدة، فهو الفيصل من حيث الثبوت، بما هو معروف من تواتر روايته، وهو الحق الذي لا يشوبه لبس، من حيث إحاطة منزله بالأحداث الظاهر، والأسرار الباطنة، بل والمشاعر الخفية التي كانت النفوس تتحدث بها دون أن يراها أحد.

ومن هنا تأتي أهمية التوثيق القرآني لأحداث السيرة النبوية، وتميزها عن غيرها من ناحيتين: دقة الثبوت، والإحاطة بالأحداث. فإذا ما أدركنا ذلك سهل علينا الوصول إلى: "منهج القرآن الكريم في توثيق الأحداث"، وهو البحث الذي سأحاول رسم ملامحه، ومعرفة أسراره.

أسأل المولى القدير أن يمن علي بالتوفيق والفهم والسداد، إنه خير مسئول وخير مأمول.

مشكلة البحث:

للسيرة النبوية أهمية كبرى في حياة المسلمين، يتعرفون من خلالها على الحياة الخاصة والعامة للقدوة الأولى سيدنا محمد ﷺ، والمجتمع الذي كان يحيط به، وعلاقاته بالمجتمعات الأخرى في الجزيرة العربية وخارجها، والعمدة في ذلك ما ورد في كتب الأحاديث والسير.

أما القرآن الكريم فلا تزال الاستفادة منه في دراسة السيرة النبوية قليلة بالنسبة لغيره من مصادر السيرة؛ لعدم المعرفة التامة بمنهج القرآن الكريم في تناول الأحداث.

الهدف من الدراسة:

وعليه فإن هذه الدراسة تهدف إلى رسم معالم منهج القرآن الكريم في تناول الأحداث من خلال توثيقه لأحداث غزوة بدر الكبرى.

أهمية الدراسة:

تتضح أهمية هذه الدراسة في الآتي:

- الاطلاع باطمئنان تام على الحياة العملية التي ربى فيها المولى سبحانه وتعالى النبي ﷺ والصحابة رضوان الله عليهم..
- التعرف على إعجاز القرآن الكريم من خلال أسلوب تناوله للأحداث مقارنة بالمصادر الأخرى.
- الاستفادة من بلوغ القرآن الكريم أعلى درجات التوثيق في جعله معياراً للترجيح بين الروايات المتعارضة الواردة في كتب السير.
- تعد هذه الدراسة منطلقاً لدراسات أخرى، يقوم بها الباحث حالياً، يتابع فيها توثيق القرآن الكريم لباقي أحداث السيرة النبوية، بهدف الوصول إلى استقراء تام يبين منهج القرآن الكريم في تناول الأحدث.

الدراسات السابقة:

تعد هذه الدراسة أول دراسة تبين منهج القرآن الكريم في توثيق أحداث غزوة بدر الكبرى، بالاعتماد على المقارنة بين ما ورد في كتب الأحاديث والسير من جانب، وبين القرآن الكريم من جانب آخر.

والقرآن الكريم وكتب التفسير والأحاديث والسير هي النواة التي اعتمد عليها الباحث في جمع المادة العلمية بهدف الوصول إلى هذه الدراسة.

وقد وقفت مؤخراً على كتاب بعنوان: (حديث القرآن الكريم عن غزوات الرسول ﷺ) للدكتور أبو بدر محمد أبو بكر عابد، ووجدت تشابهاً في العناوين التي تم طرحها في هذا البحث، إلا أن النتائج جاءت مختلفة، وهو المقصود من البحث العلمي، فما توصلت إليه في الآيات التي وثقت غزوة بدر أوسع مما توصل إليه، ونتائج المنهج القرآني في توثيق الأحداث التي قدمتها أشمل وأوسع وأدق، وإن كان له الفضل في السبق، فجزاه الله خيراً.

منهجية الدراسة:

تدخل هذه الدراسة المكتبية ضمن المنهج الوصفي الذي يعتمد على الاستقراء والاستنباط، وقد بنيت على دراسة أخرى قام بها الباحث، جمع فيها كل ما يتعلق بغزوة بدر في كتب الأحاديث والسير،[1] تمهيداً لعقد مقارنة بين ما وثقه القرآن الكريم من هذه الغزوة وما وثقته تلك المصادر، ومن ثم الوصول إلى معرفة منهج القرآن الكريم في توثيق هذه الغزوة.

---

(١) نشرت هذه الدراسة في مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة بعنوان: (النص التاريخي الموثق لغزوة بدر الكبرى) العدد الثامن عشر رجب-رمضان ١٤٢٧هـ من ص٨٣-١٢٢.

خطة البحث:

اشتمل هذا البحث على مقدمة تمهيد ومبحثين وخاتمة.

ذكرت في المقدمة أهمية البحث، وأهدافه، والمنهج الذي اتبعته، والدراسات السابقة عليه، وأهم الصعوبات التي واجهتني خلال كتابته، وخطة البحث.

وتحدثت في التمهيد عن المراد بالتوثيق القرآني للأحداث، وأهميته في دراسة السيرة النبوية.

وأما المبحث الأول فتناولت فيه الآيات التي نزلت في غزوة بدر الكبرى، والمحاور التي وثقتها هذه الآيات من الغزوة.

وبينت في المبحث الثاني منهج القرآن الكريم في توثيق أحداث غزوة بدر.

وبينت في الخاتمة أهم النتائج التي توصلت إليها.

أسأل الله سبحانه أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به المسلمين.

والحمد لله رب العالمين

تمهيد:

المراد بالتوثيق القرآني للأحداث، وأهميته في دراسة السيرة النبوية.

المراد بالتوثيق القرآني للأحداث.

التوثيق: مصدر وثّق، **ويأتي في اللغة بمعنى الإحكام، والقوة، والثبات،** يقال: وثَّق الأمر: أحكمه، وقوّاه، وثبّته، وأكّده. ووثَّق المعلومات: جدَّد أصلها وتأكَّد من صحَّتها، ووثَّق عرى الصداقة: قواها ودعمها(١).

ومنه أَوْثق الأسير: شدَّه في الوَثاق، أي القيد، بحبل أو سلسلة. قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثۡخَنتُمُوهُمۡ فَشُدُّواْ ٱلۡوَثَاقَ ﴾(٢)

ويأتي أيضاً بمعنى العهد ومنه قوله تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِي وَاثَقَكُم بِهِۦٓ ﴾(٣) ، وقوله: ﴿ أَلَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمۡ قَدۡ أَخَذَ عَلَيۡكُم مَّوۡثِقٗا مِّنَ ٱللَّهِ ﴾(٤) أي: عهداً مؤكداً.

ووَثَق بالشَّخص، ومنه، وفيه: ائتمنه، وصدَّقه، ووضع ثقته به(٥).

وفي أصول علم الحديث: وثَّق الشَّخص: شهد بأنَّه ثقة(٦).

وفنّ التوثيق: تسجيل المعلومات حسب طرق علميّة متّفق عليها(٧).

ووثّق العقد ونحوه: سجّله بالطّريقة القانونيّة فكان موضع ثقة(٨).

والمعنى الذي أردناه للتوثيق هنا مشتق من المعنى اللغوي، والمراد به: **الأحداث التي أحكمها القرآن من هذه الغزوة، أي تحدث عنها، وحفظها من الضياع.**

---

(١) انظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، للفيومي (وثق) ٢،٦٤٧.

(٢) سورة محمد : ٤.

(٣) سورة المائدة: ٧.

(٤) سورة يوسف:٨٠.

(٥) انظر: القاموس المحيط، للفيروزبادي (وثق) ص٩٢٧؛ تاج العروس، للزبيدي (وثق) ٤٥١/٢٦.

(٦) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر (وثق) ٢٣٩٨/٣.

(٧) المصدر السابق نفسه .

(٨) المصدر السابق نفسه .

وليس الغرض من الحديث عن التوثيق القرآني لأي حدث من الأحداث -فيما أعتقد- أن نأتي إلى الآيات التي نزلت بخصوص ذلك الحدث، فنشرع في تفسيرها تفسيراً تحليلياً، مبتدئين بذكر المناسبات بين الآيات والسور، وسبب النزول، ثم شرح المفردات، والمعنى العام، وما إلى ذلك من سرد المسائل اللغوية والفقهية وغيرها.

نعم إن معرفة تفسير الآيات بهذا المعنى؛ هو خطوة سابقة ومهمة للوصول إلى رؤية شاملة ودقيقة للتوثيق الميداني للأحداث، فلن ندرك بوضوح تام توثيق القرآن الكريم لأي حدث من الأحداث ما لم نتعرف على التفسير التحليلي الشامل للآيات القرآنية التي نزلت في ذلك الحدث.

لذلك أرى أن يشتمل الحديث عن التوثيق القرآني على نقاط من أهمها: **معرفة المحاور التي وثقتها الآيات من ذلك الحدث، والمحاور التي أهملتها، والمحاور التي أجملتها أو أشارت إليها،** وأسباب ذلك كله، ثم يأتي بعد ذلك بيان منهج القرآن الكريم في توثيق ذلك الحدث، مع الإشارة إلى بعض الحكم واللطائف إن أمكن .

منزلة التوثيق القرآني للسيرة النبوية وأهميته.

يأخذ التوثيق أهميته ومكانته من ناحيتين؛ الأولى: منزلة الموثق ومكانته. والثانية: قوة ثبوت الخبر وصحته.

ولا ريب فإن القرآن الكريم يتبوأ المكانة الأسمى بين المصادر التي اهتمت بتدوين الأحداث وتوثيقها من كلا الناحيتين؛ فهو كلام الله تعالى، تحدى به بلغاء العرب وفصحاءهم على أن يأتوا بمثله فعجزوا، وتكفل بحفظه من أي تغيير أو تبديل، فقال: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[1] وقال: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴾[2].

ومظاهر هذا الحفظ كثيرة متعددة، أهمها: نقله إلينا متواتراً جيلاً عن جيل ، كتابة في السطور وحفظاً في الصدور.[3] وهذا التواتر يفيد العلم الضروري من حيث الثبوت لا يمكن دفعه عن جملة القرآن الكريم أو عن أي آية من آياته.

وهذا الأمر على جليل أهميته في مجال التوثيق إلا أنه محل إجماع المسلمين، والمنصفين من غيرهم، فلا حاجة لإطالة البحث فيه، إذ لم يعرف التاريخ قديمه وحديثه كتابا حفظ كما حفظ القرآن، حتى إنك لتفتش في جميع المخطوطات المتوزعة في كل مكتبات العالم، وفي مختلف عصور التأليف، وبشتى اللغات التي كتبت عن القرآن الكريم؛ فلن تجد فيه اختلافاً أو زيادة أو نقصاناً.

وعلينا نحن المسلمين أن نستفيد من منزلة القرآن ومكانته، وقوة ثبوت الخبر فيه وصحته في توثيق الأحداث، لندرك من خلال ذلك إعجاز القرآن الكريم، في التوثيق ذاته، ونجعله المعيار الذي تصحح به الأخبار والروايات، ولنطلع باطمئنان تام على الحياة العملية التي ربى فيها سبحانه النبي ﷺ وصحابته من خلال هذا التوثيق، إذ "ليس الغرض من دراسة السيرة النبوية

---

(١) سورة الحجر، آية: ٩ .

(٢) سورة القيامة، آية: ١٦-١٧ .

(٣) انظر في هذا كتب علوم القرآن الكريم كالبرهان للزركشي والإتقان للسيوطي، من خلال حديثهم عن جمع القرآن، وشروط القراءة الصحيحة.

وتوثيقها مجرد الوقوف على الوقائع التاريخية، أو سرد ما طرف وجمل من القصص والأحداث، وإنما الغرض منها أن يتصور المسلم الحقيقة الإسلامية في مجموعها متجسدة في حياته ﷺ بعد أن فهمها مبادئ وأحكاما مجردة في الذهن، أي إن دراسة السيرة النبوية ليست سوى عمل تطبيقي يراد منه تجسيد الحقيقة الإسلامية كاملة في مثلها الأعلى سيدنا محمد ﷺ "[1].

ولك أن تتخيل أخي القارئ حجم اطمئنان النفوس إلى روايات السيرة النبوية إذا كان مصدرها القرآن الكريم، أو كانت مما أيده القرآن الكريم؛ وحجم اطمئنانها إلى تلك التي تتجاذبها أحكام العلماء إلى الصحة والحسن حيناً، وإلى الضعف والرد أحياناً أخرى.

(١) فقه السيرة، البوطي، محمد سعيد رمضان ص١٥.

المبحث الأول

الآيات التي نزلت في غزوة بدر الكبرى، والمحاور التي وثقتها هذه الآيات من الغزوة.

سوف أتناول الحديث عن هذا المبحث في مطلبين:

المطلب الأول: الآيات التي نزلت في غزوة بدر الكبرى.

المطلب الثاني: محاور التوثيق القرآني لغزوة بدر.

المطلب الأول: الآيات التي نزلت في غزوة بدر الكبرى.

لو تتبعنا كتب التفسير والحديث والسير لوجدنا أن الآيات التي نزلت في غزوة بدر تَرَكَّزَ معظمها في سورة الأنفال، وتفرق بعضها في سور أخرى من القرآن الكريم.

أما سورة الأنفال فقد سئل ابن عباس رضي الله عنهما عنها فقال: "تلك سورة بدر"[1]. ولا يعني هذا أن كل آية من آيات سورة الأنفال ترتبط بحدث من أحداث غزوة بدر؛ إنما المراد أن هذه السورة من حيث الجملة قد نزلت في غزوة بدر، وإلا فإننا نجد عند التأمل أن كثيراً من آيات سورة الأنفال ليس له ارتباط بأحداث غزوة بدر، إنما سيقت على سبيل الاستطراد، أو المناسبة، أو غير ذلك من الأغراض التي ليس محلها هذا البحث.

ومن هنا نجد أن القرطبي[2] ينقل عن ابن عباس في سورة الأنفال أنها مدنيّةٌ إلّا سبع آياتٍ من قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ إلى آخر سبع آياتٍ". وإذا لم تكن هذه الآيات مدنية، فمن باب أولى ألا تكون قد نزلت في غزوة بدر. ويستثني بعضهم الآية (٦٤) وهي قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ . وهذا يحدونا إلى حمل كلام ابن عباس على الجملة لا على التفصيل كما تقدم.

أما من حيث التفصيل فإنني لدى التأمل في سورة الأنفال، واستقراء كتب التفسير والأحاديث والسير؛ وجدت أن الآيات التالية: (١-١٧،١٤، ٣٦-٤٤، ٤٧-٥١، ٦٧-٧١) هي التي لها ارتباط وثيق بأحداث عزوة بدر[3]. وهي التي سوف أركز عليها عند الحديث على المحاور التي وثقها القرآن الكريم من الغزوة، ومنهج القرآن في توثيقه لها.

وأما السور الأخرى التي تناولت أحداث غزوة بدر بالتوثيق فتنحصر بعد التتبع في السور التالية: سورة آل عمران، وسورة النساء، وسورة الحج.

---

(١) الأثر في مسلم، كتاب التفسير، باب في سورة براءة والأنفال والحشر ٢٣٢٢/٤. والدر المنثور، للسيوطي ٣/٤.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي ٣٦٠/٧.

(٣) وعلى هذا مشى د. عصام عبد المحسن الحميدان في كتابه: السيرة النبوية من خلال أهم كتب التفسير، ص١٩.

أما سورة آل عمران فقد ورد فيها عدد من الآيات النازلة في غزوة بدر، وهي الآيات التالية: (١٣، ١٢٣-١٢٧)[١].

أخرج ابن إسحاق وابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عبّاس في قوله تعالى: ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ... الآية ﴾[٢] قال: أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ببدر ﴿ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ ﴾ قال: فئة قريش الكفّار[٣].

وأخرج ابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن الشّعبيّ أن المسلمين بلغهم يوم بدر أن كرز بن جابر المحاربي يمد المشركين فشق ذلك عليهم فأنزل الله: ﴿ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ ﴾ إلى قوله: ﴿ مُسَوِّمِينَ ﴾ قال: فبلغت كرزاً الهزيمة فلم يمد المشركين، ولم يُمَدَّ المسلمون بالخمسة.[٤].

وأما سورة النساء فقد ذكر عروة بن الزبير[٥] في مغازيه وغيره أن الآيات من (٩٧-٩٩) متعلقة بأحداث غزوة بدر.

وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقيّ في سننه عن ابن عبّاس قال: كان قوم من أهل مكّة أسلموا، وكانوا يستخفون بالإسلام، فأخرجهم المشركون معهم يوم بدر، فأصيب بعضهم، وقتل بعض. فقال المسلمون: قد كان أصحابنا هؤلاء مسلمين وأكرهوا؛ فاستغفروا لهم. فنزلت هذه الآية: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ إلى آخر الآية.[٦]

---

(١) السيرة النبوية من خلال أهم كتب التفسير، ص١٩.

(٢) سورة آل عمران: ١٣.

(٣) تفسير الطبري ٢٣٢١/٦؛ تفسير ابن أبي حاتم ٦٠٥/٢؛ سيرة ابن إسحاق ص ٣١٤؛ وانظر: الدر المنثور، للسيوطي ١٥٨/٢-١٥٩.

(٤) المصدر السابق ٣٠٨/٢.

(٥) مغازي عروة، ص١٤٦، جمع وتحقيق الدكتور: محمد مصطفى الأعظمي، مكتب التربية العربي لدول الخليج ١٤٠١هـ.

(٦) جامع البيان للطبري ١٠٢/٩؛ تفسير ابن أبي حاتم ١٠٤٥/٣؛ السنن الكبرى البيهقي ٢٢/٩؛ وانظر: المنثور، للسيوطي ٦٤٦/٢.

وأما سورة الحج فقد ورد في الصحيح أن الآية (١٩) منها نزلت في المبارزة التي حدثت في بداية الغزوة بين حمزة بن عبد المطلب وعبيدة بن الحارث وعليّ بن أبي طالب من جانب المسلمين، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة من جانب الكافرين.

أخرج البخاريّ ومسلم وغيرهما عن أبي ذر رضي الله عنه أنه كان يقسم قسماً أن هذه الآية: ﴿ هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡ ﴾ نزلت في حمزة وصاحبيه وعتبة وصاحبيه، يوم برزوا في يومِ بدر[١].

هذا ما توصلت إليه في الآيات نزلت في غزوة بدر، من خلال المقارنة بين روايات الأحاديث والسير، وبين أحداث الغزوة.

وهناك آيات أخرى تشير بعض الروايات إلى أنها نزلت في غزوة بدر، منها ما أخرجه ابن أبي شيبة وابن منيع وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه عن ابن عبّاس رضي الله عنهما في قوله: ﴿ سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾[٢] قال: كان ذلك يوم بدر. قالوا: ﴿ نَحۡنُ جَمِيعٞ مُّنتَصِرٞ ﴾ فنزلت هذه الآية"[٣]، ولكن الصحيح أنها نزلت في مكة، وتمثل بها النبي ﷺ في غزوة بدر؛ فقد أخرج البخاري[٤] عن عائشة رضي الله عنها قالت: لقد أنزل على محمد ﷺ بمكة وإني جارية ألعب: ﴿ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوۡعِدُهُمۡ وَٱلسَّاعَةُ أَدۡهَىٰ وَأَمَرُّ ﴾ .

وأخرج الطبري[٥] بسنده عن عمر ﷺ قال: "لما نزلت (سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ) جعلت أقول: أيّ جمع يهزم؟ فلما كان يوم بدر رأيت النبي ﷺ يثب في الدرع ويقول: ﴿ سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾. قال القرطبي[٦]: "وهذا من مُعجزات النّبيّ ﷺ، لأنّهُ أخبر عن غيبٍ فكان كما أخبر".

---

(١) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب: (هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡ) ٩٨/٦؛ صحيح مسلم، كتاب التفسير ، باب: (هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡ) ٢٣٢٣/٤.

(٢) سورة القمر: ٤٥.

(٣) تفسير ابن جرير ٦٠٣/٢٢؛ المصنف لابن أبي شيبة ٣٥٢/٧؛ وانظر: الدر المنثور، للسيوطي ٦٨٠/٧.

(٤) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب: ﴿ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوۡعِدُهُمۡ وَٱلسَّاعَةُ أَدۡهَىٰ وَأَمَرُّ ﴾ ١٤٣/٦.

(٥) جامع البيان، للطبري ٦٠٢/٢٢.

(٦) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي ١٤٦/١٧.

المطلب الثاني: محاور التوثيق القرآني لغزوة بدر.

تتلخص غزوة بدر في ثلاثة محاور : **الأول**: مقدمات الغزوة وأسبابها. **الثاني**: أحداث الغزوة ووصفها. **الثالث**: نتائج الغزوة.

ولدى استقراء الآيات التي نزلت في غزوة بدر، والتأمل فيها، نجد أنها تناولت جوانب من هذه المحاور، فقد صرحت ببعض الأحداث حيناً، وأشارت إلى بعضها حيناً آخر، وتركت بعضها أحياناً أخرى. وفق منهج خاص سيأتي الحديث عنه في المبحث القادم.

فقد تناولت في **المحور الأول** خروج النبي ﷺ من المدينة للقاء القافلة، ومشاورته أصحابه في ذفران[١] لما جاءه الخبر بنجاتها[٢] ، وكراهة بعضهم القتال، وما أحاط بذلك من أحداث[٣] وذلك من قوله تعالى : ﴿ كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ ﴾ الآية الخامسة من سورة الأنفال إلى قوله : ﴿ لِيُحِقَّ ٱلۡحَقَّ وَيُبۡطِلَ ٱلۡبَٰطِلَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴾ الآية الثامنة من السورة.[٤]

كما تناولت في هذا المحور أيضاً استعدادات جيش المشركين، وتهيؤهم للخروج من مكة لمنع العير[٥]، وتذكرهم عداوة بني بكر من كنانة، وخوفهم من غدرها، وظهور الشيطان لهم بصورة سراقة بن مالك يجيرهم من بني بكر ويشجعهم على الخروج[٦]، ثم متابعة مسيرهم إلى بدر رغم نجاة العير بطراً ورياء وصداً عن سبيل الله[٧]، وذلك من قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ الآية ٣٦ من سورة الأنفال إلى الآية ٤٠ من

---

(١) ذفران/ بفتح أوله وكسر ثانيه ، واد صغير ينتهي أعلاه بثنية بين جبلين - هي ريعه - ويتفرع منه طريق صعب إلى بدر، سلكه النبي ﷺ في طريقه إلى بدر. وفاء الوفا للسمهودي ٢٨١/٤ ، الطريق النبوي، للرحيلي ص٤٠ ، معجم معالم الحجاز ٢٥٧/٣.

(٢) انظر دلائل النبوة لأبي نعيم ٦٠٤/٢ ، ومجمع الزوائد ٧٣/٦ ، و٢٦/٧ .

(٣) انظر: ابن هشام ٢٥٣/٢ ، والواقدي ٤٨/١.

(٤) انظر: الدر المنثور ١٤/٤ فما بعدها.

(٥) الواقدي ٣٠/٢.

(٦) ابن هشام ٢٥٠/٢ .

(٧) وصل خبر نجاة العير إلى جيش المشركين وهم بالجُحْفَة إلا أن أبا جهل أبى إلا أن يتابع مسيره إلى بدر. انظر: ابن هشام ٢٥٧/٢ وانظر أيضاً ابن سعد ١٣/٢ والطبري ٤٢٤/٢ .

السورة[1]. ومن قوله : ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ ﴾ إلى قوله : ﴿وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾ الآيتان ٤٧ ـ ٤٨ من السور نفسها[2].

ولم تشر الآيات في هذا المحور إلى كثير من الأحداث التي ذكرت في كتب السير والتاريخ، ومن ذلك: خروجه ﷺ للقاء العير وهي ذاهبة إلى الشام، وإرساله العيون يترصد رجوعها، ومعرفة أبي سفيان بذلك، وإرساله ضمضم بن عمر الغفاري إلى مكة ليبلغ قادة قريش بالخطر، ورؤيا عاتكة بنت عبد المطلب في المنام ما سيحل في قريش، وما لحق بني عبد المطلب بسبب الرؤيا من أذى.

كما أنها لم تشر في هذا المحور إلى الطريق الذي سلكه جيش المسلمين، وما جرى خلاله من أحداث، كاستعراض الجيش، ورد الصغار، ممن لم يبلغ الخامسة عشرة من عمره، ودفع الألوية، والطلائع التي قدمها النبي ﷺ أمامه، والمواضع التي مر بها، وبعض الأحداث التي جرت في الطريق إلى بدر.

كما لم تشر أيضاً إلى المواضع التي مر بها جيش المشركين، والأحداث التي جرت معهم في الطريق، كرجوع بني زهرة من الجحفة لما علموا بنجاة العير، ومنع أبي جهل لبني عبد المطلب من الرجوع، إلى غير ذلك من الأحداث الكثيرة[3].

وأما المحور الثاني (أحداث المعركة ووصفها) فقد تناولته الآيات بشكل أوسع، فذكرت الأماكن التي نزل فيها جيش المسلمين وجيش والمشركين والقافلة، وذلك في قوله تعالى: ﴿ إِذۡ أَنتُم بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُم بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلۡقُصۡوَىٰ وَٱلرَّكۡبُ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ ﴾ الآية ٤٢ من سورة الأنفال[4].

كما تحدثت عن استغاثة الرسول ﷺ والمسلمين بربهم ، وإمدادهم بالملائكة، وإنزال النعاس والمطر عليهم[5] ، وتقليل عدد المشركين في أعينهم ؛ كل ذلك ليثبت قلوبهم ويرهب عدوهم، وذلك في قوله تعالى : ﴿ إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ ﴾ الآية ٩ من سورة الأنفال إلى

---

(١) الدر المنثور ٦٣/٤ فما بعدها.

(٢) المرجع السابق ٧٧/٤ فما بعدها.

(٣) انظر تفصيلات هذه الأحداث في بحث: النص التاريخي الموثق لغزوة بدر، للباحث. مرجع سابق.

(٤) المرجع السابق ٧٢/٤ فما بعدها.

(٥) الواقدي ٥٤/١، ابن سعد ١٥/٢ وابن هشام ٢٥٩/٢ ودلائل النبوة للبيهقي ١١٠/٣ .

قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ ﴾ الآية ١٤ من السورة[١]. وفي قوله : ﴿ إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا ﴾إلى قوله : ﴿ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾ الآيتان ٤٣- ٤٤ من السورة[٢]. وفي قوله : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ ﴾ من الآية ١٢٣ من سورة آل عمران إلى قوله : ﴿ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ ﴾ الآية ١٢٧من السورة[٣].

كما تحدثت عن التقاء المسلمين بالمشركين في المعركة، وفرزتهم إلى فئتين، فئة تقاتل في سبيل الله، وأخرى كافرة، وجعلت ذلك آية وعبرة، وذلك في قوله: ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ ﴾ الآية ١٣ من سورة آل عمران[٤].

وتحدثت في هذا المحور أيضاً عن استفتاح المشركين وقول أبي جهل : " اللهم أقطعنا للرحم وآتانا بما لا يعرف فأحنه الغداة[٥] ، اللهم انصر خير الدينين"[٦] وذلك في قوله تعالى: ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ ﴾الآية ١٩ من سورة الأنفال[٧].

كما تحدثت عن المبارزة التي حصلت في بداية المعركة بين عبيدة بن الحارث وحمزة بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم من المسلمين ، وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة من المشركين[٨] ؛ وذلك في قوله تعالى : ﴿ هَٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ﴾ الآية ١٩ من سورة الحج[٩] .

---

(١) الدر المنثور ٢٨/٤ فما بعدها.

(٢) المرجع السابق ٧٤/٤ فما بعدها.

(٣) المرجع السابق ٣٠٦/٢ فما بعدها.

(٤) المرجع السابق ١٥٩/٢ فما بعدها.

(٥) مسند الإمام أحمد ٤٣١/٥ ، ابن هشام ٢٦٨/٢ .

(٦) دلائل النبوة للبيهقي ٧٩/٣ .

(٧) الدر المنثور ٤٢/٤.

(٨) انظر الواقدي ٦٨/١-٦٩ ، وابن هشام ٢٦٥/٢ ، وسنن البيهقي ١٣١/٩ ، ودلائل البيهقي ٧٢/٣ ..

(٩) انظر تخريجه ص ١٦من هذا البحث.

وتحدثت الآيات أيضاً عن مشاركة النبي ﷺ في القتال، ورميه الحصباء في وجوه المشركين[1]، وذلك في قوله: ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾ الآية ١٧ من سورة الأنفال[2].

ولم تشر الآيات في هذا المحور إلى عدد من الأحداث ، ومن ذلك: خروج النبي ﷺ مع أبي بكر الصديق ﷺ لاستكشاف المنطقة، ولقائه بأعرابي، وما دار بينهما من حوار، وأسر الصحابة ليلة المعركة غماناً من قريش كانوا على ماء بدر، وبناء العريش للنبي ﷺ، وتحديده لهم مصارع القوم، وقصته مع سواد بن غزية وعمير بن الحمام وهو يعدل الصفوف.

كما لم تشر أيضاً إلى الخلاف الذي دار بين عتبة بن ربيعة وأبي جهل، ورغبة عتبة الرجوع بالجيش، وتقدم الأسود بن عبد أسد نحو حوض الماء الذي بناه المسلمون، وقتل حمزة له، إلى غير ذلك من الأحداث الكثيرة التي جرت أثناء المعركة[3].

وأما المحور الثالث (نتائج الغزوة) فكان التركيز عليه أكثر من سابقيه ، فقد تحدثت الآيات عن النصر الذي حققه المسلمون في غير ما موضع من القرآن ، مبينة أن حقيقته من عند الله تعالى ، وذلك في قوله: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ﴾ الآية ١٢٣ من سورة آل عمران. وقوله : ﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ الآية ١٢٦ من سورة آل عمران . وقوله تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ الآية ١٠ من سورة الأنفال. وقوله : ﴿ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ ﴾ الآية ٢٦ من سورة الأنفال.

وتحدثت عن الأنفال والغنائم التي غنمها المسلمون في هذه الغزوة في موضعين اثنين ، الأول عند قوله تعالى : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ من الآية الأولى من سورة

---

(١) الخبر في ابن هشام ٢٦٨/٢ ، ودلائل النبوة للبيهقي ٧٩/٣ ، ومجمع الزوائد ٧٨/٦ .

(٢) الدر المنثور ٣٩/٤-٤٠.

(٣) انظر تفصيلات هذه الأحدث في بحث: النص التاريخي الموثق لغزوة بدر، للباحث. مرجع سابق.

الأنفال، وهي التي سميت السورة بها، إلى الآية الرابعة منها. وقد ركز القرآن في هذه الآيات على تربية الصحابة، فحثهم على تقوى الله، ونبذ الخلاف لأجل هذه الأمور، وإصلاح ذات البين، وأمرهم بطاعة الله ورسوله، وتفويض أمر هذه الغنائم لهما يقسمها النبي ﷺ بحكم الله تعالى.

أما الموضع الثاني فبين فيه مصارف الغنائم، وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ ﴾ الآية ٤١ من سورة الأنفال.

وركزت الآيات على قضية الأسرى وما أخذ منهم من الغنائم(١) ، فتحدثت عن ذلك في خمس آيات، من قوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾الآية ٦٧ من سورة الأنفال إلى قوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ الآية ٧١ من السورة.

ولم تغفل الآيات أولئك الرجال الذين أكرهتهم قريش على الخروج معها لقتال المسلمين(٢)، والحوار الذي دار بين الصحابة في شأنهم، وحسمت الآيات ٩٧- ٩٩ من سورة النساء الموقف، وذلك في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ إلى قوله: ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾(٣) .

وتحدث القرآن الكريم عن إرجاف المنافقين في المدينة، وعاقبة فعلهم، وما أعده لهم من العذاب المهين في ثلاث آيات، من قوله تعالى: ﴿ إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ ﴾ الآية ٤٩ من سورة الأنفال، إلى قوله: ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ الآية ٥١ من السورة(٤).

---

(١) كان الفداء يتراوح ما بين ألف درهم إلى أربعة آلاف. ابن هشام ٣٠٦/٢ ، وأبو داود ١٣٩/٣ ، كتاب الجهاد ، باب في فداء الأسير بالمال .

(٢) كان معظم الرجال الذين أكرهوا على الخروج من بني هاشم، منهم العباس بن عبد المطلب ونوفل بن الحارث وطالب بن أبي طالب وعقيل بن أبي طالب وغيرهم. انظر: دلائل النبوة للبيهقي ١٠٥/٣.

(٣) تقدم تخريجه ص ١٦من هذا البحث.

(٤) في المراد بهؤلاء المنافقين قولان، الأول: أنهم المنافقون الذين يعيشون بين المسلمين. والثاني: فئة كانوا محبوسين في مكة ومترددين في إسلامهم، فلما رَأَوْا قلَّة أَصْحَاب رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم قَالُوا: (غر هَؤُلَاءِ دينهم). الدر المنثور ٧٩/٤-٨٠.

ولم تشر الآيات في هذا المحور إلى صلاة النبي ﷺ على الشهداء، ورفعهم عن مكان المعركة، وطرح المشركين في القليب، وآثار خبر هزيمة قريش على أهل مكة، وإرساله ﷺ عبد الله بن رواحة وزيد بن حارثة إلى المدينة يبشرهم بانتصار المسلمين، وإقامته في بدر ثلاثة أيام ثم رجوعه إلى المدينة، وقتله بعض الأسرى في الطريق، وتلقي أهل المدينة للرسول ﷺ في الروحاء، إلى غير ذلك من الأحداث[1].

ومما سبق يتبين لنا أن التوثيق القرآني لأحداث غزوة بدر فريد في نوعه، اقتصر على بعض الأحداث، إلا أنه أضاف إلى مصادر السيرة النبوية إضافات واسعة أهمها في نظري: ذلك الكشف الدقيق للنفس البشرية ، تكوينها ، دوافعها ، حوافزها ، ثباتها وتخاذلها ، آمالها ومخاوفها، صبرها وجزعها ، إقدامها وإحجامها ، إيمانها ونفاقها.[2]

وقد تركز توثيق القرآن لغزوة بدر في سورة الأنفال، وتجاوزها أحياناً إلى سور أخرى لحكم بليغة، سوف نعرض لها في المبحث القادم إن شاء الله.

---

(١) انظر تفصيلات هذه الأحدث في بحث: النص التاريخي الموثق لغزوة بدر، للباحث. مرجع سابق.

(٢) انظر حديث القرآن الكريم عن الغزوات للدكتور محمد بكر آل عابد ١٢/١.

المبحث الثاني

منهج القرآن الكريم في توثيق أحداث غزوة بدر الكبرى

المبحث الثاني: منهج القرآن الكريم في توثيق أحداث غزوة بدر الكبرى

بعد أن تعرفنا على الآيات التي نزلت في غزوة بدر، والمحاور التي تحدثت عنها ووثقتها؛ والأحداث التي أهملتها؛ أصبحت معالم المنهج القرآني في توثيق أحداث هذه الغزوة واضحة جلية، كما أصبحت الفروق بين هذا التوثيق القرآني وبين غيره من مصادر السير والتاريخ واضحة جليلة أيضاً.

فهو لم يسرد علينا أحداث غزوة بدر من يوم أن ندب رسول الله ﷺ الصحابة للقاء عير أبي سفيان، وما تبع ذلك من أحداث، كما تفعل كتب التاريخ والسير، وإنما تميز بمنهج خاص، كانت الأحداث فيه تابعة للأمر الذي سيق من أجله، وليست الهدف الأول من السرد والبيان.

وأستطيع أن أبرز منهج القرآن الكريم في توثيق الأحداث من خلال توثيقه لغزوة بدر في النقاط الآتية:

الأولى: إيراد الأحداث غير مرتبة زمنياً.

لم يسرد القرآن الكريم أحداث الغزوة وفق ترتيبها الزمني، كما تفعل باقي المصادر التاريخية، وإنما يسوقها ضمن منهج خاص يقدم فيه الأحداث التي لها تأثير أكبر في نفوس الصحابة بهدف تصحيحها وتقويمها والحكم عليها.

فعلى سبيل المثال: أنزلت سورة الأنفال بأكملها بعد انتهاء غزوة بدر[1] ، وهي خاصة بها ، حتى قال ابن عباس رضي الله عنهما لما سئل عنها : "تلك سورة بدر"[2]. ولو تأملنا الأحداث التي وردت في هذه السورة لوجدناها غير مرتبة وفق سير الغزوة من يوم خروجه ﷺ إلى بدر وحتى عودته إلى المدينة، وفق ما يورده أصحاب السير والمؤرخون ، بل نجد أن السورة بدأت بالحديث عن الأنفال التي اختلف بعض الصحابة عليها عقيب الانتهاء من الغزوة؛ وذلك للفت أنظارهم إلى أمر هو الأهم عنده سبحانه، وهو تزكية النفوس وتطهيرها عن أن تتعلق بعرض من الدنيا قليل ، فقال: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ واجتنبوا ما أنتم فيه من

---

(١) انظر: الموسوعة القرآنية، خصائص السور، لجعفر شرف الدين ١٨٥/٣.

(٢) صحيح مسلم ، التفسير ، باب في سورة براءة والأنفال والحشر ٢٣٢٢/٤ .

المشاجرة فيها، أو الاختلاف أو إخفاء شيء منها[1]، ﴿ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡ ﴾ ، برد ما أخذتم، والمواساة فيما حل بأيديكم[2] ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ [الأنفال:١].

ثم بين لهم أوصاف المؤمنين الصادقين ليتأسوا بها، وأتبع ذلك بالحديث عن تردد بعض المؤمنين في القتال، ووجههم إلى بذل النفوس في سبيل الله ؛ وذلك بقوله: ﴿ كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ۝٥ يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلۡحَقِّ بَعۡدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلۡمَوۡتِ وَهُمۡ يَنظُرُونَ ﴾ [الأنفال:٥-٦].

فتأمل كيف بدأ بالحديث عن اختلافهم في الأنفال الذي وقع بعد الانتهاء من الغزوة، وثنى بالحديث عن تردد بعض المؤمنين في القتال، وهذا التردد حدث قبل بدء المعركة.

ولشدة الأثر الذي انعكس على نفوس الصحابة نتيجة هذين الحدثين، وخطورته على أولئك الصفوة؛ جعل القرآن الكريم يقدمهما في الذكر على جميع أحداث الغزوة، فتربية الصحابة ، وتزكية نفوسهم أهم ما ينبغي التركيز عليه؛ لأنها المحور الذي يدور عليه الفلاح والخيبة (قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها) [3].

في ربط هذين الحدثين مع بعض، وترتيب الثاني على الأول حكمة ظاهرة، فكأنه يقول لهم: إن هذه الغنائم التي غنمتموها ما هي إلا محض فضل من المولى سبحانه، فقد كنتم مترددين في القتال، كارهين له،[4] ﴿ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيۡرَ ذَاتِ ٱلشَّوۡكَةِ تَكُونُ لَكُمۡ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقۡطَعَ دَابِرَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٧ لِيُحِقَّ ٱلۡحَقَّ وَيُبۡطِلَ ٱلۡبَٰطِلَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴾

وتأمل الآيتين التاسعة والحادية عشرة من سورة الأنفال أيضاً تجد أنه سبحانه قدم الحديث عن إمداد المسلمين بالملائكة، على الحديث عن الطمأنينة التي نزلت عليهم، والنعاس الذي غشيهم، والمطر الذي هطل عليهم ؛ بالرغم من أن هذه مقدمة في سير الأحداث على تلك ، وذلك لكون الأولى أبلغ في إظهار المنة وجميل الصنع من الثانية.

---

(١) انظر: روح المعاني للألوسي ١٥٤/٥.

(٢) انظر: زاد المسير ١٨٨/٢.

(٣) الشمس آية ٩-١٠.

(٤) انظر: البحر المحيط لأبي حيان ٢٧٧/٥.

الثانية: الجمع بين الأحداث المتباعدة في سياق واحد:

تأمل مثلاً قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ ...الآية ﴾[1] هذه الآية مستأنفة مسوقة لبيان جميل صنع الله بالمؤمنين مع ما بهم من الجزع وقلة الحزم ، وقوله سبحانه وتعالى بعدها : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ ...الآية ﴾[2] بدل منها، وهي مسوقة أيضاً لبيان جميل صنعه بالمؤمنين وما أيدهم به من الملائكة ، وقوله سبحانه بعدها : ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ ...الآية ﴾[3] بدل ثان من ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ﴾ على أرجح أقوال أهل العلم[4] ، وهي مسوقة أيضاً لبيان جميل صنع الله بالمؤمنين، وإظهار نعمة الطمأنينة التي أنزلها الله على قلوبهم بالنعاس الذي غشيهم بعد أن أطار الخوف كراهم .

والوعد في الآية الأولى كان بذفران[5]، و الاستغاثة في الثانية كانت بعد وصولهم إلى بدر واصطفافهم للقتال[6] ، والنعاس الذي غشيهم والمطر الذي أنزل عليهم كان ليلة بدر[7]، فجمع الله سبحانه بين هذه الأحداث المتباعدة في سياق واحد ، وجعل بعضها بدلاً من بعض كأنها حدثت في وقت واحد ؛ كل ذلك لأنها مسوقة لبيان جميل صنع الله سبحانه وتعالى بالمؤمنين.

الثالثة: الحديث عن حادثة ما في سياق حادثة أخرى:

ينقل القرآن الكريم طرفاً من حديث غزوة بدر، إلى سورة أخرى هي سورة آل عمران، وفي سياق حدث آخر وهو حدث غزوة أحد، وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ...الآية ﴾[8] والسبب في ذلك توظيف الحدث في خدمة الوظائف الدعوية والإيمانية وغيرها ،

---

(١) من الآية ٧ من سورة الأنفال.

(٢) من الآية ٩ من سورة الأنفال.

(٣) من الآية ١١ من سورة الأنفال.

(٤) انظر: الدر المصون، للسمين الحلبي ٥٧٣/٥.

(٥) انظر: ابن هشام ٢٥٣/٢ ، الواقدي ٤٩/١ ، ابن سعد ١٤/٢.

(٦) انظر البخاري ١٧٩/٦ ، التفسير ، سورة اقتربت الساعة.

(٧) انظر: الواقدي ٥٤/١، ابن سعد ١٥/٢ وابن هشام ٢٥٩/٢ ودلائل النبوة للبيهقي ١١٠/٣ .

(٨) من الآية ١٢٣ من سورة آل عمران.

فلقد همت طائفتان من المؤمنين في غزوة أحد بالتخلف عن القتال خوفاً منه، فأورد سبحانه في هذا السياق طرفاً من أحداث غزوة بدر، ذكرهم فيها بالنصر الذي حققه لهم رغم قلتهم وذلتهم[1].

الرابعة: تجريد الحدث عن الزمان والمكان والأشخاص:

وهذا التجريد هو أحد مميزات التوثيق القرآني للأحداث ، فهو يطلق الحدث عن الزمان والمكان اللذين وقعا فيه، ويجرده عن الأشخاص الذين ارتبط بهم[2]، ويعطيه دلالات تتسع باتساع الأزمان والأجيال التي تستقي من معين هذا النبع العظيم.

انظر مثلاً قوله تعالى: ﴿ هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡ ﴾[3] فقد نزلت في المبارزة التي وقعت في بداية غزوة بدر بين عبيدة بن الحارث وحمزة بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم من جانب المسلمين، وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة من جانب المشركين-كما تقدم- بيد أنك تستطيع أن تستشهد بها على كل خصمين اختصموا أحدهما على الحق والثاني على الباطل في أي وقت وفي أي مكان.

وتأمل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ الآية. فقد نزلت في قريش وما جمعته من أموال طائلة لقتال النبي ﷺ والمسلمين في بدر[4]، لكنه لم يقيد الكفار بقريش، ولا الزمان ولا المكان بالغزوة وأحداثها، وأصبحت دلالاتها واسعة، يستشهد بها في كل وقت اتفقت فيه الصورة وإن تعددت الأحداث والأشخاص. وقد أدرك المحققون الهدف الذي يرمي إليه القرآن من وراء هذا التجريد، فوضعوا القاعدة المشهورة: (العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب)[5].

---

(١) انظر: تفسير القرآن للسمعاني ٣٥٣/١. التسهيل لعلوم التنزيل ١٦٤/١.

(٢) انظر: التفسير القرآني للقرآن ١٥١٥/١٦.

(٣) من الآية ١٩ من سورة الحج.

(٤) انظر توثيق ذلك ص ٢٠ من هذا البحث .

(٥) انظر: العجاب في بيان الأسباب لابن حجر ١٧٥/٢.

الخامسة: التعبير عن الحدث بلفظ عام [1]:

وهذا العموم ظاهر في كثير من الأحداث التي عرض لها القرآن الكريم، وهو يعطي اللفظة القرآنية الواحدة دلالات متعددة، تأمل مثلاً قوله تعالى: ﴿ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ ﴾[2]. فقد ذهب المفسرون مذاهب شتى في المراد بقوله تعالى: (بكلماته) هل هي الآيات الموحى بها في هذه القصة؟ أو أوامره للملائكة بإمداد المؤمنين؟ أو بما قضى من أسر الكفار وقتلهم وطرحهم في قليب بدر؟ كل هذه المعاني وغيرها تحتملها كلمة واحدة هي قوله: (بكلماته) [3].

وتأمل الضمير في (جعله) من قوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ﴾ هل المراد به: (الإمداد) المنسبك من قوله: (أني ممدكم)، أو (الإرداف) المدلول عليه بقوله: (مردفين)، أو (الألف) المتقدم في قوله: (بألف من الملائكة)، أو الوعد المدلول عليه بقوله: (يعدكم)، أو (جبريل) لكونه على رأس الملائكة الذين نزلوا، أو (الاستجابة) المدلول عليها بقوله: (فاستجاب لكم) كونها مؤنث مجازي، أو على الإخبار بالإمداد، كل هذه الأوجه محتملة[4].

السادسة: عرض الحدث مختصراً:

وهذا واضح في كل الأحداث التي عرض لها القرآن الكريم في هذه الغزوة، فقد عبر عن الخلاف الذي وقع في الأنفال بثلاث كلمات فقط، (يسألونك عن الأنفال). وأشار إلى كل الأحداث التي جرت قبيل المعركة، من خروج النبي ﷺ من المدينة للقاء القافلة، وحتى مشاورته أصحابه في ذفران لما جاءه الخبر بنجاتها، في آيتين اثنتين فقط، وهما الآية الخامسة والسادسة من سورة الأنفال، كما أشار أيضاً إلى خروج المشركين من مكة إلى بدر، وما صحبها من أحدث كثيرة، في آيتين اثنتين فقط، وهما الآية الثامنة والأربعون والتاسعة والأربعون من سورة الأنفال.

---

(١) ويدخل تحت هذه النقطة (التعبير عن الحدث بلفظ مجمل) . والمجمل هو: ما ازدحمت فيه المعاني، ولم يعلم المراد منه إلا باستفسار وتأمل. أو: ما له دلالة على أكثر من معنى، ولا مزية لأحدها على الآخر بالنسبة إليه. وأما العام فهو: ما يستغرق جميع ما يصلح له، بحسب وضع واحد، دفعة بلا حصر. انظر: كشف الأسرار للنسفي ٨٦/١؛ البحر المحيط للزركشي١٧٩/٢، ٤٣/٣.

(٢) من الآية ٧ من سورة الأنفال.

(٣) انظر: روح المعاني، للألوسي ١٦١/٥.

(٤) الدر المصون، للسمين الحلبي ٥٧٢/٥-٥٧٣ .

وهكذا نجده يختصر في جميع الأحداث التي عرض توثيقها، إلا حدثاً واحداً، فصّل فيه وزاد من بيانه، وهو خبر نزول الملائكة في بدر، وتثبيتهم للمؤمنين، ومشاركتهم في القتال إلى جانبهم؛ فقد عرض له في موضعين اثنين، **الأول:** في سورة آل عمران في قوله تعالى: ﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴾ الآية الرابعة والعشرون بعد المائة إلى قوله تعالى: ﴿ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُواْ خَآئِبِينَ ﴾ الآية السابعة والعشرون بعد المائة. **والثاني**: في سورة الأنفال، في قوله تعالى: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ الآية التاسعة من السورة، وفي قوله أيضاً: ﴿ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُواْ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ الآية الثانية عشرة من السورة. وهذا التفصيل في خبر نزول الملائكة يعود – فيما أرى – إلى كونه خبراً عن أمر غيبي غير معروف للصحابة، فهو محتاج إلى مزيد من التأكيد، وفيه إظهار لجانب من جوانب منّة الله تعالى عليهم، ورفقه بهم، وفيه تشجيع لهم وتحفيز على الإقدام في ساحات الوغى، وذكر العدد فيه لرفع توهم المجاز، وفيه رد على من ادعى أن الملائكة لم تشارك في القتال، وإنما هو كناية عن الدعم المعنوي، كالطمأنية والسكينة التي نزلت على الصحابة ليلة المعركة، وأثناءها.

السابعة: الحكم على الحدث وتقويمه[1]:

وهذا من أبرز الخصائص التي انفرد بها القرآن الكريم، ولذلك نجد أنه لم يواكب نزوله تطوارات أحداث غزوة بدر ولا غيرها من الأحداث خطوة بخطوة، إنما نزلت الآيات بعد انتهاء الغزوة كما تقدم معنا، كما أنه لم يذكر كثيراً من أحداث الغزوة وتفصيلاتها، كعدد المسلمين والمشركين، وتحسس النبي ﷺ الأخبار عن قريش قبل الغزوة، وإلقاء المشركين في القليب، وغير ذلك مما تم توثيقه في المبحث السابق. وإنما بدأ بالحديث عن الأنفال، مشيراً إلى الخلاف الذي وقع بسببها، وحكم على هذا الحدث بقوله، ﴿ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ ثم قوم موقف الصحابة ونبههم إلى أنه لا ينبغي التنازع في هذا الأمر، وخاصة مع وجود الرسول ﷺ بينهم، فحضهم على التقوى، وإصلاح ما وقع، وطاعة الله ورسوله، والتسليم له يحكم فيها ما يشاء.

---

(١) انظر: تفسير الشعراوي ٢٦٢٣/٥.

وقل مثل ذلك في الحدث الثاني الذي عرض له القرآن الكريم في قوله: ﴿ كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ ﴾ الآية، فقد حكم على ما فعله النبي ﷺ من الخروج لملاقات العير بأنه حق، ثم قوم موقف بعض الصحابة الذين هابوا لقاء العدو، وكرهوا تحول الموقف من ملاقات عير إلى ملاقاة جيش، رغم البشارة التي ساقها لهم النبي ﷺ بأن الله وعده إحدى الطائفتين.

وبهذا يتبين لنا أن بين هذه النقطة وما قبلها علاقة ظاهرة، حيث تعطينا دلالة واضحة أن توثيق الأحداث في القرآن ليس مراداً لذاته، إنما يتوصل القرآن الكريم من خلال إيراده إلى هدف من الأهداف؛ كالتربية، وإظهار المنة، والتشجيع على القتال، وتقرير مبادئ العقيدة، وما إلى ذلك.

الثامنة: تنوع الأساليب في عرض الأحداث:

لم يسرد القرآن الكريم الأحداث سرداً، ويأتي بها كلها بصيغة الخبر كما تفعل كتب السير والتاريخ، وإنما عرض الأحداث بأساليب متنوعة تتسق مع الهدف الذي ساق الحدث من أجله.

تدبر كيف ساق خبر اختلاف الصحابة في الأنفال بصيغة السؤال ﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَنفَالِ ﴾، وعبر عن خروج النبي ﷺ للقاء العير بالتشبيه ﴿ كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ ﴾ ، وأتى بالنفي مع الإثبات لرمي النبي ﷺ الحصباء في وجوه المشركين ﴿ وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ رَمَيۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾، وأتى بالجملة الشرطية في خبر استفتاح أبي جهل الذي وقع في بداية المعركة ﴿ إِن تَسۡتَفۡتِحُواْ فَقَدۡ جَآءَكُمُ ٱلۡفَتۡحُ ﴾، وأكد خبر الأموال الطائلة التي جمعتها قريش لمحاربة رسول الله والمسلمين بـ (إنّ واسمها وخبرها) ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾، وعبر عن رياء قريش وبطرها ومتابعة سيرها إلى بدر رغم نجاة عيرها بالنهي عنه فقال: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرٗا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾، وتحدث عن الأسرى، وما جرى في شأنهم، والفداء الذي أخذ منهم بصيغة النفي ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾.

وأسرار التعبير بما ذكر ينظر في محله من كتب التفسير.

التاسعة: الكشف الدقيق للنفس البشرية[1]:

وهذا الكشف من أبرز خصائص المنهج القرآني، إذ لا يستطيع أي مؤرخ مهما أوتي من فراسة أو بيان أن يتوصل إلى حقيقة ما دار أو يدور في نفوس الأشخاص الذين صنعوا تلك الأحداث، أو شاركوا فيها، من خواطر ومشاعر وأحاسيس، والوحيد الذي يعلم ذلك هو المولى سبحانه، الذي خلق هؤلاء الأشخاص، وخلق أحاسيسهم وخواطرهم ومشاعرهم. وهو القائل سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾[2].

وهذا الكشف له أهمية خاصة في معرفة حقيقة الحدث لا ظاهره، وتوجيه أصحابه، وتوقع النتائج.

تفكر في هذا النص القرآني: ﴿ كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ۝٥ يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ۝٦ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾

نجد أنه سبحانه قد كشف لنا أسرار النفوس في ثلاثة موضع من هذا النص وهي قوله: (لكارهون) وقوله: (كأنما يساقون إلى الموت) وقوله: (وتودون أن غير ذات الشوكة)، وإذا قرنّا هذا بقوله بعد ذلك: ﴿ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ ﴾[3] ظهر لنا ما أكده المولى سبحانه أكثر من مرة، وفي أماكن متعددة: أن النصر الذي حققوه في بدر إنما هو بمحض الفضل الإلهي، فهو الذي هيأ اللقاء ورتبه ﴿ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَٰدِ ۙ وَلَٰكِن لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ﴾[4]وهو الذي أنزل الطمأنية على

---

(١) انظر: تفسير الشعراوي ٦/٣٣٢٥.

(٢) سورة ق: ١٦.

(٣) سورة ق: ١٦.

(٤) سورة ق: ١٢.

قلوب المسلمين، وهو الذي ألقى الرعب في قلوب المشركين ﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ وَلِتَطۡمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمۡۚ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[1]

العاشرة: الإعجاز البياني في التعبير عن الحدث:

والإعجاز البياني للقرآن الكريم، علم قائم بذاته ، ألفت فيه مؤلفات كثيرة والحديث عنه في هذه العجالة أمر عسير.

إلا أنه لك أن تتأمل قوله تعالى : ﴿ وَإِذۡ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحۡدَى ٱلطَّآئِفَتَيۡنِ أَنَّهَا لَكُمۡ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيۡرَ ذَاتِ ٱلشَّوۡكَةِ تَكُونُ لَكُمۡ ﴾[2]

لم أجد فيمن كتب عن هذه الغزوة من عبّر عن قافلة المشركين والجيش الذي خرج لحمايتها بـ (ذات الشوكة وغير ذات الشوكة) إلا القرآن الكريم؛ وذلك للتنبيه على سبب ودادتهم ملاقاة العير ونفرتهم من ملاقاة النفير.

بل تأمل قوله تعالى - في معرض حديثه عن خروج جيش المشركين، ومتابعة سيرهم إلى بدر رغم نجاة العير-: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ﴾[3].

لم يسرد الحدث سرداً كما هو المعهود في كتب السير والتاريخ ، بل ساق الخبر أولاً في معرض التوجيه (ولا تكونوا ...) ولم يغفل جانب القوة والكثرة والمال الذي خرجت به قريش فاختصرها بقوله : (بطراً ورئاء الناس) ثم قال: (ويصدون) فعبر عن بطرهم بصيغة الاسم التي تدل على التمكين والثبات ، وعن صدهم بصيغة الفعل التي تدل على التجدد والحدوث وذلك كما قال الفخر الرازي: "لأن أبا جهل ورهطه كانوا مجبولين على البطر والمفاخرة والعجب، أما صدهم عن سبيل الله إنما حصل في الزمان الذي أكرم فيه النبي ﷺ بالنبوة"[4].

---

(١) سورة ق: ٤٢.

(٢) سورة الأنفال: ١٠.

(٣) سورة الأنفال: ٤٧.

(٤) التفسير الكبير للرازي ١٧٣/١٥.

ثم إن في هذه الآية اختصاراً؛ فقريش خرجت أول ما خرجت لمنع العير[1]، وليس للحرب فالتقدير: خرجوا من ديارهم ليمنعوا عيرهم، ولم يرجعوا بعد نجاتها بطراً ورئاء الناس. وهذا وذاك، فيهما لدى التأمل من الإعجاز ما لا يخفى.

وبهذا نكون قد وقفنا على أبرز النقاط التي كشفت لنا ملامح منهج القرآن الكريم في توثيقه للأحداث، وهو -كما ظهر - منهج فريد من نوعه، معجز في أسلوبه، يتجاوز الوصف والتسجيل، فيقوّم الحدث، ويقدم خلاصة حكمته، والدلالة على موطن الاعتبار فيه، ويخرجه عن زمانه ومكانه وأشخاصه، ويحوله إلى مبدأ عام، يتعامل به المسلمون في كل زمان ومكان، متى تشابهت ظروفهم وظروف هذا الحدث العام.

وكلما تدبرنا هذا القرآن أكثر فتح عليه فيه أكثر ، فهو الذي لا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه، أسأل الله تعالى أن يجعله ربيع قلوبنا ونور أبصارنا.

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير ٧٧/٣.

الخاتمة:

جاء هذا البحث نتيجة لبحث آخر بعنوان: **(النص التاريخي الموثق لغزوة بدر)** جمعتُ فيه كل روايات الأحاديث والسير والتاريخ حول الغزوة، وقارنت بينها، وأعدت صياغتها في نص واحد؛ بهدف تقديم رؤية واضحة صحيحة لأحداث الغزوة.

ثم أردت أن أكتب بحثاً آخر أُبرز من خلاله التوثيق القرآني للغزوة؛ حتى أظهر من خلال المقارنة بين البحثين، الأحداث التي وثّقها القرآن الكريم مفصّلة أو مُجملة، والأحداث التي أشار إليها، والأحداث التي أهملها، والحكمة من ذلك.

إلا أنني وجدت أن الفائدة تكتمل فيما لو أضفت إلى ما سبق منهج القرآن الكريم في توثيقه للأحداث من خلال هذه الغزوة، فتم بحمد الله ما أردت، وله الفضل والمنة.

ومن المفيد في خاتمة البحث أن أستعرض مجمل النتائج التي توصلت إليها في النقاط التالية:

أولاً: التوثيق في اللغة يعني الإحكام والثبات، والمراد به في البحث: **الأحداث التي أحكمها القرآن من هذه الغزوة، أي تحدث عنها، وحفظها من الضياع.**

ثانياً: يأخذ التوثيق أهميته ومكانته من ناحيتين؛ الأولى: منزلة الموثق ومكانته. والثانية: قوة ثبوت الخبر وصحته. والقرآن الكريم يتبوأ المكانة الأسمى بين المصادر التي اهتمت بتدوين الأحداث وتوثيقها من كلا الناحيتين.

ثالثاً: الآيات التي نزلت في غزوة بدر تَرَكَّزَ معظمها في سورة الأنفال، في الآيات التالية: (١-١٧،١٤، ٣٦-٤٤، ٤٧-٥١، ٦٧-٧١) وتفرق بعضها في سور أخرى من القرآن الكريم، وهي: سورة آل عمران، وسورة النساء، وسورة الحج.

رابعاً: محاور غزوة بدر ثلاثة هي: مقدمات الغزوة وأسبابها. أحداث الغزوة ووصفها. نتائج الغزوة. ولدى استقراء الآيات التي نزلت في غزوة بدر، والتأمل فيها، نجد أنها **تناولت جوانب**

من هذه المحاور، فقد صرحت ببعض الأحداث حيناً، وأرشارت إلى بعضها حيناً آخر، وتركت بعضها أحياناً أخرى.

خامساً: يتلخص منهج القرآن الكريم في توثيقه للأحداث في عدد من النقاط، **أبرزها:** إيراد الأحداث غير مرتبة زمنياً، و الجمع بين الأحداث المتباعدة في سياق واحد، والحديث عن حادثة ما في سياق حادثة أخرى، و تجريد الحدث عن الزمان والمكان والأشخاص، و التعبير عن الحدث بلفظ مجمل ومختصر، والاهتمام بالحكم على الحدث وتقويمه، و تنوع الأساليب في عرض الأحداث، و الكشف الدقيق للنفس البشرية، والإعجاز البياني في التعبير عن الحدث.

هذه هي مجمل النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث، ولا يزال الباب مفتوحاً لطلاب العلم، للوقوف على أسرار القرآن الكريم ومنهجه في توثيقه للأحداث، من خلال استكمال الأحداث التي وثقها، كغزوة أحد والأحزاب والخندق وغير ذلك، بغية التوصل إلى استقراء تام، يكشف لنا جانباً من أسرار القرآن، فهو الذي لا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه.

أسأل المولى سبحانه أن يمن علينا بالتدبر والفهم والعلم، إنه خير مسؤول وخير مأمول.

والحمد لله رب العالمين

فهرس المحتويات

العنوان	رقم الصفحة
ملخص البحث	٣
مقدمة عامة	٤
مشكلة البحث	٥
الهدف من البحث	٥
أهمية البحث	٥
الدراسات السابقة	٥
منهجية الدراسة	٥
خطة البحث	٧
تمهيد: المراد بالتوثيق الميداني للأحداث، وأهميته في دراسة السيرة النبوية.	٨
المراد بالتوثيق الميداني للأحداث.	٩
منزلة التوثيق القرآني للسيرة النبوية وأهميته	١١
المبحث الأول: الآيات التي نزلت في غزوة بدر، والمحاور التي وثقتها هذه الآيات من الغزوة.	١٣
المطلب الأول: الآيات التي نزلت في غزوة بدر.	١٤
المطلب الثاني: محاور التوثيق القرآني لغزوة بدر.	١٧
المبحث الثاني: منهج القرآن الكريم في توثيق أحداث غزوة بدر الكبرى	٢٣
الخاتمة:	٣٤
فهرس المحتويات:	٣٦
فهرس المصادر والمراجع:	٣٧

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

- البحر المحيط في أصول الفقه، لبدر الدين محمد بن بهادر الزركشي، تعليق الدكتور: محمد محمد تامر، ط١، دار الكتب العلمية- بيروت ١٤٢١هـ.

- تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبي الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، دار الهداية.

- تاريخ الأمم والملوك، لمحمد بن جرير الطبري، المتوفى سنة ٣١٠هـ ، ط١ ، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٧هـ.

- التسهيل لعلوم التنزيل، لمحمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، ط:١، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت ١٤١٦هـ.

- تفسير القرآن، لمنصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، ط:١، دار الوطن، الرياض – السعودية ١٤١٨هـ.

- تفسير القرآن العظيم، لإسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ.

- التفسير القرآني للقرآن، لعبد الكريم يونس الخطيب، دار الفكر العربي – القاهرة.

- جامع البيان لابن جرير الطبري، المتوفى سنة ٣١٠هـ ، دار الفكر - بيروت ١٤٠٥هـ . ومؤسسة الرسالة بتحقيق: أحمد محمد شاكر ٢٠٠٠م.

- الجامع لأحكام القرآن، لمحمد بن أحمد بن أبي بكر، شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط٢، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

- التفسير الكبير، لمحمد بن عمر بن الحسن بن الحسين، الملقب بفخر الدين الرازي (المتوفى: ٦٠٦هـ)، ط٣، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ١٤٢٠هـ.

- حديث القرآن الكريم عن الغزوات للدكتور محمد بكر آل عابد، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان.

- الدر المصون، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، لشهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: ٧٥٦هـ)، تحقيق: د أحمد محمد الخراط، الناشر: دار القلم، دمشق.

- الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، للحافظ السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ ، ط دار الفكر - بيروت ١٩٩٣م.

- دلائل النبوة لجعفر بن محمد بن الحسن الفريابي المتوفى سنة ٣٠١هـ ، تحقيق: عامر حسن صبري ، ط١ ، دار حراء - مكة المكرمة ١٤٠٦هـ.

- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ) ، تحقيق: علي عبد الباري عطية، ط١، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤١٥ هـ.

- زاد المسير في علم التفسير، لعبد الرحمن بن علي بن محمد أبي الفرج الجوزي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط:١، دار الكتاب العربي – بيروت ١٤٢٢هـ.

- سنن أبي داود سليمان بن الأشعث الأزدي السَّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.

- السنن الكبرى للبيهقي المتوفى سنة ٤٥٨هـ ، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ، ط مكتبة دار الباز - مكة المكرمة ١٤١٤هـ

- سيرة ابن إسحاق المسماة بكتاب المبتدأ والمبعث والمغازي ، لمحمد بن إسحاق بن يسار المتوفى سنة ١٥١هـ ، تحقيق: محمد حميد الله ، نشر: معهد الدراسات والأبحاث للتعريب.

- السيرة النبوية لعبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري ، المتوفى سنة ٢١٣هـ ، تحقيق: طه عبد الرءوف سعد ، ط١ ، دار الجيل - بيروت ١٤١١هـ

- السيرة النبوية من خلال أهم كتب التفسير، د. عصام عبد المحسن الحميدان، بحث منشور بصيغة pdf على الشبكة العالمية الإنترنت.

- صحيح ابن حبان لأبي حاتم التميمي البستي، المتوفى سنة ٣٥٤هـ ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ، ط٢ ، مؤسسة الرسالة – بيروت ١٤١٤هـ .

- صحيح الإمام محمد بن إسماعيل البخاري المتوفى سنة ٢٥٦هـ ، تحقيق: د . مصطفى ديب البغا ، ط٣ ، دار ابن كثير – بيروت ١٤٠٧هـ

- صحيح الإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ) المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

- الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد بن منيع أبي عبدالله البصري الزهري ، المتوفى سنة ٢٣٠هـ ، دار صادر – بيروت.

- فقه السيرة، البوطي، محمد سعيد رمضان ، ط٢٥، دار الفكر – دمشق ١٤٢٦ هـ .

- العجاب في بيان الأسباب، للحافظ أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، تحقيق: عبد الحكيم محمد الأنيس، الناشر: دار ابن الجوزي.

- القاموس المحيط، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط٨، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

- كشف الأسرارشرح المصنف على المنار، لعبد الله بن أحمد المعروف بحافظ الدين النسفي، المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق مصر، ١٣١٦هـ.

- مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة بعنوان: (النص التاريخي الموثق لغزوة بدر الكبرى) للباحث: أحمد محمد محمد شعبان، العدد الثامن عشر رجب-رمضان ١٤٢٧هـ.

- مجمع الزوائد ، لعلي بن أبي بكر الهيتمي المتوفى سنة ٨٠٧هـ ، دار الريان للتراث - القاهرة ١٤٠٧هـ.

- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، لأحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ) ، المكتبة العلمية – بيروت.

- مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني المتوفى سنة ٢٤١هـ ، مؤسسة قرطبة – مصر.

- مغازي عروة، جمع وتحقيق الدكتور: محمد مصطفى الأعظمي، مكتب التربية العربي لدول الخليج ١٤٠١هـ.

- المغازي، لمحمد بن عمر بن واقد السهمي، المدني، الواقدي (المتوفى: ٢٠٧هـ) تحقيق: مارسدن جونس الناشر: دار الأعلمي – بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤٠٩/١٩٨٩.

- معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

- الموسوعة القرآنية، خصائص السور، لجعفر شرف الدين، المحقق: عبد العزيز بن عثمان التويجزي، ط١، الناشر: دار التقريب بين المذاهب الإسلامية بيروت ١٤٢٠ هـ

- وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى لعلي بن أحمد السمهودي المتوفى سنة ٩١١هـ ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط٣ ، دار إحياء التراث - بيروت ١٤٠١هـ.